المعارضات كأنها تجارب فنية يحاول البارودى من خلالها أن يحقق الصورة النهائية للقصيدة الإحيائية التى يريد أن يقدمها لمجتمعه الأدبى .

ولكن تظل فى هذا المجال ملاحظتان تلفتان النظر بقوة لا نملك معها أن نتجاوزهما ، وهم تتصلان بشاعرَىْ العربية الكبيرين : المتنبى وأبى العلاء ، ومدى تأثر البارودى بهما ، فعلى امتداد ديوانه الكبير نرى طائفة من قصائده، ومقطوعاته حاول أن يقلد فيها مذهب أبى العلاء فى لزوم مالا يلزم ، ومع ذلك فإن تأثير أبى العلاء فيه ، ليس كبيراً ، ولعل هذا هو السبب الذى جعله لا يذكره مع الشعراء الخمسة الذين أشار إليهم فى أبياته السابقة ، وربما كانت هذه المحاكاة للزوميات هى أوضح مظاهر هذا التأثير فيه ، أما أشعاره فى الزهد التى تنتشر بصورة واضحة فى شعره فى المنفى ، ففى ظنى أنها ليست من التأثير العلائى فيه ، ولكنها انعكاسات لما أحسه فى أواخر حياته من إحباط، وما أصابه مع تقدم السن من اقتراب نذر النهاية المحتومة . وذلك لأن أشعاره فى الزهد ليست من طراز أشعار أبى العلاء التى تصدر عن نظرة تحاول أن تفلسف الحياة ، لاعن ذلك الاستسلام لها الذى صدرت عنه أشعار البارودى.

أما المتنبى ففى ظنى أنه أبعد الشعراء تأثيرا فى البارودى ، وأشدهم ظهوراً فى شعره ،وهى ظاهرة تبدو طبيعية للتقارب الشديد ، بينهما فى النظرة إلى الحياة ، وفى أسلوب التعامل معها ، وفى إحساس كلٍّ منهما بأنه « شاعر فارس » وكأنما رأى البارودى فيه المثل الأعلى الذى كان يبحث عنه وكأنما وجد من خلاله شخصيته وحقق ذاته ، فكان « رب السيف والقلم » تأكيداً للصورة التى رسمها المتنبى فى بيته المشهور :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى  والسيف والرمح والقرطاس والقلم

والأمر الذى لا شك فيه أن هناك عوامل التقاء كثيرة بينهما ، الطموح والثقة فى النفس والاعتداد بالشخصية ، والشعور بالتميز والتفرد ، وأيضا الإحساس بالعروبة والإيمان بها ، واستمداد الرموز الفنية منها ، ثم هذه النزعة